الفصل الثاني
من قضايا الهمز الخلافية

المبحث الأول : الهمزة حرف علة
المبحث الثاني : من الصيغ الخلافية المهموزة

المبحث الأول : الهمزة حرف علة

أشار ابن درستويه إلى قضية بارزة في الدراسات الصوتية التي لها علاقة بالدرس الصرفي عند القدماء ويصنفها المعاصرون من القضايا الصوتية ، وهي قضية عد الخليل الهمزة حرفا من حروف العلة ، واستدرك مؤكدا أنها من الحروف الصحاح يقول : " اعلموا أن الهمزة حرف صحيح ، كسائر الحروف الصحاح عند عامة النحويين ، وقد جعلها الخليل من حروف العلة كالواو والياء والألف اللينة ، والعرب تحقق الهمزة أحيانا ، وتخفضها أحيانا في مواضع معلومة لعلل عارضة ولذلك حدود مفهومة ، والعامة تنزل الهمز في أكثر الكلام لثقلها ، وتجعل بدلها الواو والياء والألف " [1] .

وكان كثير من القدماء قد حذوا حذو الخليل في عد الهمزة حرف علة مرة وحرفا صحيحا مرة أخرى حتى اختلط الأمر وتداخل ، حتى وجدناهم يفرقون بين نوعين للألف : الألف المتحركة و" الألف من حروف المد واللين ، فاللينة تسمى الألف والمتحركة تسمى الهمزة وقد يتجوز فيها فيقال أيضا ألف " [2] .

ويرجع ذلك الخلط لما يعتري الهمز من تغيرات صوتية تنتهي بها إلى أصوات العلة فهم يعلمون أن " الهمزة كالحرف الصحيح ، غير أن لها حالات من التليين والحذف والإبدال والتحقيق ، تعتل فألحقت بالأحرف المعتلة الجوف ، وليست من الجوف إنما هي حلقية في أقصى الفم ، ولها ألقاب كألقاب الحروف الجوف " [3] .

ولما كانت الهمزة وأصوات العلة مشتركين في التغيرات الصوتية فقد صنفها الصرفيون التقليديون في باب الإعلال ، و يرون أن " الإعلال هو تغيير يحدث في أحد أحرف العلة الثلاثة (الألف والواو والياء) أو في الهمزة ... والإبدال هو تغيير يحدث في حرف آخر غير أحرف العلة والهمزة " [4] .

---

[1]- تصحيح الفصيح و شرحه ، لابن درستويه , 176
[2]- لسان العرب / ألف
[3]- لسان العرب / ألف
[4]- تيسير الإعلال والإبدال ، عبد العليم إبراهيم , 5

ولقد انتشر هذا الخلط بين الهمزة وأحرف العلة حتى شاع وصار تقليدا عند كثير من الصرفيين لكثرته ، وترجع جذور هذا الخلط إلى عاملين العامل الأول : عامل النطق ، والعامل الثاني : عامل الكتابة ، ومن ذلك ما أشار إليه الأزهري عندما قال : " اعلم أن الهمزة لا هجاء لها ، إنما تكتب مرة ألفا ومرة ياء ومرة واوا ، والألف اللينة لا حرف لها إنما هي جزء من مدة بعد فتحة " [1] .

وهذا ابن دريد – على سبيل المثال – يطلق على الاسم المنتهي بهمزة مفتوح ما قبلها (مقصورا مهموزا) ومن أمثلة ذلك قوله في بعض المواضع : " وما جاء من المقصور المهموز : الرشأ – الفرأ – الكلأ ... " [2] .

ونتيجة لذلك نشأ في أبجديتنا مصطلحان اختلف العلماء حول تسميتها فمنهم من يطلق عليها الألف اليابسة للهمزة الصحيحة والألف اللينة للعلة الطويلة [3] ، ومنهم من يطلق عليها الصامت للهمزة الصحيحة والصائت للعلة، ومنهم من قسمها إلى " الألف التي لا حركة لها مطلقا ونسميها الألف الصائتة تتوزع على فصول الوصل والمد والقصر ، والثاني الألف المتحركة بالحركات الأربع المعروفة الفتح والضم والكسر والسكون ... ونسميها بالألف الصامتة " [4] .

أما **عامل الخط** المتسبب في هذا الخلط فيرجع في أصله للغات السامية ، فتاريخيا نجد " الهمزة رغم شيوعها في اللغة العربية لم يرمز لها العربي القديم برمز خاص ككل الأصوات الساكنة ، ... فالرمز الذي نعرفه الآن للهمزة حديث بالنسبة للرسم العثماني " [5] .

وتاريخيا أيضا تعود أصول الخط العربي إلى " الخط الفينيقي الذي وصل إلى العرب عن طريق النبط ، وكان خطهم النبطي منتشرا في شمالي الجزيرة العربية في الحيرة والأنبار وغيرهما قبل مجيء الإسلام ، والنبط قوم من الساميين كانوا يتكلمون لهجة آرامية من تلك اللهجات الآرامية التي كانت

---

[1]- لسان العرب / ألف
[2]- جمهرة اللغة ، لابن دريد , 2 / 1106
[3]- انظر : تاريخ الأدب ، حفني ناصف ، 11
[4]- ميزان الألف العربية ، أحمد زرقة ، 16
[5]- الأصوات اللغوية ، إبراهيم أنيس , 90

شائعة في سوريا والعراق في ذلك الوقت ، وقد اشتقوا خطوط أبجديتهم من الخط الفينيقي ، فقد وضع الفينيقيون – وهم من الأقوام السامية القديمة – نظاما من الرموز لأبجديتهم ورثها عنهم بعض شعوب العالم القديم ، بعد أن أحدثوا فيها بعض التغييرات على مر الزمن " [1] .

ويؤكد ذلك O' Leary الذي يرى أن " الأبجدية العربية كانت سامية الأصل ؛ حيث اشتقت (الألف) من الآرامية ؛ ولذا جاءت الألف عند الكتاب العرب الأوائل رمزا للحركة الطويلة(ā) . وهكذا استعملت في النسخ الأولى للقرآن ، هذه النسخ التي كتبت طبقا للهجة الحجاز التي تأثرت بعض الشيء بتأثيرات خارجية ؛بسبب طريق التجارة الذي عبر غرب بلاد العرب من سوريا ومصر" [2] .

أما الألف التي هي سر الخلط الصوتي والصرفي فقد " كانت في أصل الخط النبطي هي أصل الهمزة غير أن الحجازيين لم يكونوا يهمزون في كلامهم ، وقد روي ذلك عنهم بما لا يدع مجالا للشك في هذه القضية ... وإذا كان الحجازيون لا يهمزون في كلامهم ... وقد شاع الخط وانتشر على أيديهم ؛ فإننا نرى رمز الهمزة القديم وهو الألف يختفي من الكتابة العربية في غير أول الكلمة مطلقا ... فكان يترتب على تركهم الهمز نشوء حركات طويلة " [3] .

وتأثر الصرف نتيجة لذلك بعيوب الخط،وليس الصرف فحسب بل تأثر الشعر وأوزانه أيضا [4] ، حتى ظهر الخليل بن أحمد (175 هـ) وأدخل إصلاحات كثيرة على الخط العربي كان منها أن اقتطع من رأس العين رمزا للهمزة للقرب المخرجي بين الهمزة والعين ؛ فكلاهما حلقي بمفهوم القدماء ، والهمزة حنجرية والعين حلقية بمفهوم المعاصرين [5] . وبذلك يكون الفضل للعربية وعلماء العرب في التمييز الأبجدي بين الصوتين : الصامت والعلة أو الهمزة والألف (الحركة الطويلة) .

---

[1]- مشكلة الهمزة العربية ، رمضان عبد التواب , 18 - 19

[2] - O'Leary: Comparative grammar of the Semitic languages, 32

[3]- مشكلة الهمزة العربية ، 12 – 13 / وانظر : فصول في فقه العربية ، رمضان عبد التواب , 402

[4]- انظر : فصول في فقه العربية ، رمضان عبد التواب , 408

[5]- انظر في ذلك : المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي ، عبد الصبور شاهين , 171 / مشكلة الهمزة العربية ، رمضان عبد التواب , 14 / فصول في فقه العربية ، رمضان عبد التواب , 402

وقد كان عدم التفريق بينهما مبكرا راجعا إلى أن أصوات العلة " لم تحظ من قدامى اللغويين العرب بمثل ما حظيت به الأصوات الصامتة من العناية بها " [1] ؛ فخلطوا بين الهمزة وبين ما ينتج عنها نتيجة التسهيل وصوره المتعددة من علل طويلة ، واشتركت الألف في رمزين الصامت والعلة وكذلك الواو والياء اشتركتا – ولا يزالان – في الرمز لنصف الصامت وللعلة الطويلة أيضا [2] .

وكان ابن جني واحدا من الذين أدركوا الفارق بين الألف الصامتة والألف المعتلة ، يظهر ذلك في مثل قوله : " اعلم أن الألف التي في أول حروف المعجم هي صورة الهمزة ، وإنما كتبت الهمزة واوا مرة وياء أخرى على مذهب أهل الحجاز في التخفيف ، ولو أريد تحقيقها ألبتة لوجب أن تكتب ألفا على كل حال " [3] .

وتخفيف الحجازيين للهمز هو العامل الآخر – أقصد العامل الصوتي – الذي تسبب في الخلط بين العلل والهمزة ، ولقد " استفاض في العصر الجاهلي في لهجة الحجازيين وأخذ في العربية المولدة صورة واسعة ذات أثر واضح في صوغ القوالب " [4] .

أضف إلى ذلك أن الخط شاع وانتشر بين الحجازيين حتى إننا لنجد " كل النصوص العربية القديمة التي وصلت إلينا في البرديات المختلفة تخلو من رمز الهمزة الذي نعرفه تماما ؛ لأن الرمز القديم لها وهو الألف اكتسب عند الحجازيين صفة الدلالة على الفتحة الطويلة مع أنه الرمز الأصل للهمزة . ولو أن الخط شاع وانتشر أول الأمر في بيئة تستخدم الهمز في كلامها – كبيئة تميم مثلا– لوجدنا الهمزة تصور بصورة الألف دائما في أي موقع من الكلمة " [5] .

وصوت الهمزة كما يشير إليه د . رمضان عبد التواب " صوت أصيل في اللغات السامية كلها وهو صوت حنجري شديد مهموس ، ينطق بأن يلتقي الوتران الصوتيان أحدهما بالآخر التقاء محكما

---

[1]- فصول في فقه العربية ، 397

[2]- انظر في ذلك : فقه اللغة ، على عبد الواحد وافي , 192

3- سر صناعة الإعراب , لابن جني , 1 / 46 – وانظر : شرح المفصل لابن يعيش , 10 / 126

4- العربية دراسات في اللغة اللهجات والأساليب، يوهان فك . ص 111

5- فصول في فقه العربية ، 403

يحبس خلفهما الهواء الخارج من الرئتين حتى إذا زال هذا الالتقاء فجأة سمعت للهواء المحبوس انفجارا هو صوت الهمزة " [1] .

ولطبيعة مخرجها الغائر في منطقة الحلق تعد أصعب الأصوات نطقا " ولهذا السبب لم يبق هذا الصوت على حاله في كثير من اللغات السامية منذ زمن قديم " [2] .

وكان من نتيجة ذلك تخفيفها إلى أصوات العلة نطقا وكتابة " ومن المؤكد أن هؤلاء القدماء قد أدركوا الفرق بين الهمزة والألف من الناحية النطقية ، وإلا ما وضعوا هذا الرمز المستقل للهمزة ... ولكن القدماء لم يستطيعوا الفكاك من ارتباط الهمزة بالألف ، فإذا هم يجعلون الهمزة تارة حرف علة وتارة شبيهة بالعلة مع أنها صوت صامت ، ومن ثم اضطرب علاجهم لكل مسائل الهمزة في علاقتها بأصوات المد والعلة " [3] .

ونخلص من هذا إلى أن الهمزة هذا الصوت الصامت لا علاقة له مخرجيا بالعلل الطويلة (الواو والألف والياء) فهي صوت حنجري ، والعلل الطويلة أصوات سمّاها الخليل نفسه هوائية بالرغم من ضمه الهمزة معها ! ويعلل لتسميته لها بالهوائية ؛ " لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان ولا من مدارج الحلق ولا من مدارج اللهاة،وإنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف"[4].

ويتأكد لنا بذلك أن الخليل ما كان يقصد بالهمزة حرفا معتلا كونها صامتا حنجريا بل يذكر ما ذكرناه من قبل من حالات تسهيلها . وقد أكّد ذلك تلميذه سيبويه فقد ذكر أن " الحروف اللينة وهي

1- مشكلة الهمزة العربية ، 24
وانظر : R . Quirck, The use of English ,292

وانظر أيضا : الأصوات اللغوية ، إبراهيم أنيس , 90 – 91 / علم اللغة العام الأصوات ، كمال بشر ، 115 / أصوات اللغة ، د. عبد الرحمن أيوب ، ط2 ، مطبعة الكيلانى ، القاهرة ، 1968 .ص 218 / المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي ، عبد الصبور شاهين , 172

2- مشكلة الهمزة العربية ، رمضان عبد التواب , 25 / التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ، رمضان عبد التواب , 76 / وانظر : الأصوات اللغوية ، إبراهيم أنيس , 91

3- المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي ، عبد الصبور شاهين , 171

4- العين , للخليل , 1 / 64

الواو والياء سميت بذلك لأن مخرجها يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما كقولك : وأيٌّ والـواو ، وإن شئت أجريت الصوت ومددت ، ومنها الهاوي وهو حرف اتسع لهواء الصوت مخرجـه أشـد مـن اتساع مخرج الياء والواو لأنك قد تضم شفتيك في الواو وترفع في الياء لسانك قبل الحنك الأعلى ، وهي الألف ، وهذه الثلاثة أخفى الحروف لاتساع مخرجها " [1] .

***

ويؤكد علماء الأصوات المعاصرون هذا الفارق في الطبيعة الصوتية بين الهمزة والعلل الطويلة (واي) " فالصائت هو قطع ذو انحباس من نوع التقارب المتسع يرتبط به ممـر مركـزي لتيـار الهـواء مـع انغلاق طبقي أو دونه ، وماعدا ذلك من القطوع فهو صامت " [2] .

فالحركات الطويلة – وحتى القصيرة – من هذا المنطلق هي " الأصوات المجهورة التي يحـدث في تكوينها أن يندفع الهواء في مجرى مستمر خلال الحلـق والفـم وخـلال الأنـف معهـما أحيانـا دون أن يكون هناك عائق يعترض مجرى الهواء اعتراضا تاما أو تضييق لمجرى الهواء من شأنه أن يحدث احتكاكـا مسموعا " [3] . وهذا الوصف الصوتي لا ينطبق أبدا عـلى الصـامت الحنجـري (الهمـزة) . ومـن هنـا " نستطيع أن نقرر مطمئنين أنه لا علاقة صوتية مطلقا بين الهمزة وبين أصوات المد والعلة " [4] .

***

وإذا رجعنا **للغات السامية** سنجدها مثل العربية أيضا في استصعاب الهمز واستبدال العلل به ، يقول الدكتور رمضان عبد التواب : " ومع أن هذا الصوت أصيل في اللغات السامية فإن الجهد العضلي الذي يتطلبه في نطقه أدى إلى ضياعه في كثير من اللغات السامية ... ولهذا السـبب لم يبـق هـذا الصـوت على حاله في كثير من اللغات السامية منذ زمن قديم " [5] .

---

[1]- الكتاب ، لسيبويه , 4 / 435 – 436 / وانظر في طبيعة العلل الصوتية عند القدماء أيضا : سر صناعة الإعراب , لابن جني , 1 / 19 – 20 / أسباب حدوث الحروف ، لابن سينا , 84 – 85 / شرح المفصل لابن يعيش , 10 / 128

[2]- مبادئ علم الأصوات العام ، ديفيد أبركرومبى 123

[3]- المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي 91

[4]- المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي ، عبد الصبور شاهين , 172

[5]- بحوث و مقالات في اللغة , رمضان عبد التواب , 272

كذلك يشير علماء الدراسات المقارنة إلى تغير المجموعة الحنجرية في الساميات " ومن التغيرات التي تطرأ على المجموعة الحنجرية في بعض اللغات السامية ظاهرة تخفيف الهمزة ، وهي ظاهرة سامية تكاد تشترك فيها أغلب اللغات السامية " [1] .

وتلحظ هذه السمة من تخفيف الهمز أكثر في الساميات الشمالية ، يشير موسكاتي إلى السمة البارزة " للأفعال المهموزة هي حذف الهمزة التي تأتي بعد الحركة مباشرة مع التطويل الناتج لصوت المد السابق في الرقعة السامية الشمالية أمثلا من الجذر (أخذ) السامية الأصل (يَأْخذُ) ، في الأكادية īḫuz ، والعبرية yeḥôz ، والسريانية nḥēod ، لكن العربية يأخذ ، والإثيوبية ya' aḥôz وكذلك يأخَز ya' aḥaz [2] .

وإذا اتجهنا إلى نماذج من بعض **الساميات الشمالية** سنجد " ما حدث للهمزة في اللهجة الحجازية العربية حدث مثله تماما في اللغتين العبرية والآرامية . إذ تسقط الهمزة في هاتين اللغتين في كثير من الأحيان في وسط الكلمة أو آخرها " [3] .

ومعنى ذلك أنه " في كثير من كلمات هاتين اللغتين نرى الهمزة لا تنطق في وسط الكلمة ، أو في آخرها ، رغم وجود رمزها في الكتابة . مثال ذلك :

في العبرية **רֹאשׁ** rô š (رأس) أ **בָּרָא** bārā (برأ / خلق) . وفي الآرامية بِارُا bīrā (بئر) ، حطُا ḥṭā (أخطأ) . ومع ذلك نجد الهمزة تنطق في وسط الكلمة في هاتين اللغتين أحيانا . مثال ذلك : في العبرية **שָׁאַל** Šā al سُأل ، وفي الآرامية كُامِ qā ' em (قائم) " [4] .

ويؤكد ذلك موسكاتي حيث نجد " في الأفعال التي لامها همزة يحدث الحذف المميز للهمزة التي ترد بعد الحركة مباشرة في السامية الشمالية مزجا مع الأفعال التي لامها ياء Y بقدر ما يتعلق الأمر

[1]- أشكال التبدلات الصوتية في اللغات السامية ، وحيد صفية ، 55
[2]- مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ، سباتينيو موسكاتي و آخرون , 270
[3]- أصوات اللغة ، د. عبد الرحمن أيوب 55.
[4]- المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي 224

بصوت المد الناتج ، ففي السامية الأم مَلِىء mali ' a كان مملوءا ، والأكدية مَلِ mali ، والعبرية mālē ،والسريانية malī مع malā ،لكن العربية مَلِىء mali 'a ،والأثيوبية mala 'a (mal ' a)[1] .

ويشير O' Leary إلى أنه " في العبرية والآرامية هذا الساكن الممثل في الهمزة (א) في كثير من الحالات فقد قيمته الساكنة في نص العهد القديم ... وفي العبرية المتأخرة ، وكذلك في الآرامية يستخدم أحيانا كإشارة حرف علة ومثال ذلك في **קאם ، קם** " [2] . qām .

ويؤكد برجشتراسر أننا " إذا اطلعنا على الإملاء الآرامي رأينا الهمزة مرسومة بالألف دائما وبالعكس كل ألف تشير إلى همزة ، إلا في أواخر الكلمات فإن الألف فيها حرف قد يشير إلى الفتحة الممدودة وإلى غيرها من الحركات الممدودة في بعض الأوقات ، مثال ذلك أن : **ماة** بالسريانية المقابلة لـ (مات) حرفا بحرف لا تشير إلى : māt أبدا ، بل معناها : mā ' t ، و ماتة المقابلة لمائت هي بالعكس ma ' īt ، و **رما** تحتمل أن تقرأ rmā أو rāmē " [3] .

وحروف العلة في **السريانية** مثلا (**ا و ي – ا و ي**) ، والحديث عن الصحة والاعتلال في اللغة الآرامية والسريانية هو نفس الحديث الذي يدور حول الهمز وتسهيله وتحول الهمزة إلى علل طويلة في اللغة العربية [4] . وفيها مثلا " الألف : إما صحيحة تقبل الحركة وتسمى همزة ، وإما معتلة ساكنة ، فالهمزة تقع من الكلمة أولا ووسطا وأخيرا فمتى وقعت أولا تكون دائما مخففة متحركة ... ومتى وقعت وسطا وأخيرا يجوز تخفيفها " [5] .

ومثل العربية تماما " ألف السريان قائمة مقام حرفين عربيين وهما الهمزة والألف ، ولكن نحاة السريانيين لم يميزوا بينهما ولا انتبهوا على فرقهما كما لم ينتبه عليه أهل أكثر اللغات الإفرنجية " [6] .

---

[1]- مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ، سباتينيو موسكاتي و آخرون , 271

[2] -O'Leary: Comparative grammar of the Semitic languages, 31

[3]- التطور النحوي للغة العربية ، برجشتراسر, 43

[4]- انظر في ذلك : غرامطيق اللغة الآرامية السريانية 18 - 22

[5]- غرامطيق اللغة الآرامية السريانية 18 / في قواعد الساميات العبرية والسريانية والحبشية 184

[6]- اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية 30

لذلك يؤكد الصرفيون في تلك اللغات على أن الألف (**א**) – والذي هو رمز للصامت والصائت معا كما كان الحال في اللغة العربية قديما – هو صوت معتل ومن ذلك أنهم يعدون مثل الفعل **אָכַל** = أكل (آكَل) ، معتل الفاء بالألف ويقابل المثال في العربية ، ويعدون مثل الفعل **בָּרָא** و **קָרָא** (بارا – قارا) = (برأ – قرأ) معتل اللام بالألف ويقابل الناقص في العربية [1] .

ويشير دارسو الساميات الشمالية إلى أن " ظاهرة تخفيف الهمزة أو تسهيلها نجدها أيضا في الأكادية (البابلية والأشورية) ... في وسط الكلمة كما في kāsum بمعنى كأس ، و في آخرها كما في brū بمعنى برأ " [2] .

وفي الكلدانية – من الساميات الشمالية – " الألف على ضربين إما معلولة نحو : **بنا** (بنا) بنى ، وإما صحيحة ملفوظة كهمزة العرب نحو : **قنا** (قنأ) قنئ " [3] . وفي المندعية – كانت في بعض مناطق العراق – يؤكد أوليري على ذلك ، حيث نجد فيها " قد أصبح الألف (**א**) إشارة حرف علة " [4] .

وقد يبدو تسهيل الهمزة قليلا في **الساميات الجنوبية** ، يشير أوليري إلى أن الأبجدية " عبرت إلى الساميات الجنوبية مبكرا بما فيه الكفاية لاحتفاظ الألف (**א**) بقيمته الساكنة لذا فهو يظهر في السبئية والأبجدية الحبشية المشتقة منها (ʾ) [5] . ويؤكد دكتور إبراهيم أنيس على أن " الحبشية تحرص دائما على الهمزة نطقا وكتابة " [6] .

وبالرغم من ذلك لا نعدم هذا التسهيل للهمز في الساميات الجنوبية ؛ لأنه مبدأ صوتي عام في كل اللغات ، ففي السبئية يشير بيستون إلى وقوع التبادل " بين الألف والحرف المعتل نحو :

whr بدلا من الصيغة المألوفة hr

---

[1]- انظر : دروس في اللغة العبرية ، ربحي كمال , 163 / عبرية مبسطة ، محمد توفيق الصواف ، 130

[2]- أشكال التبدلات الصوتية في اللغات السامية ، وحيد صفية ، 55

[3]- قاموس كلداني عربي ، المطران يعقوب أوجين منا , باب الألف ص1

[4] -O'Leary: Comparative grammar of the Semitic languages, 31

[5] -O'Leary: Comparative grammar , 31 - 32

[6]- الأصوات اللغوية ، إبراهيم أنيس , 94

hwtw ... بدلا من الصيغة المألوفة tw ' h

tsl ' n ... من الجذر الذي ورد عادة هكذا ṣlw [1] .

كذلك يشير بافقيه وآخرون إلى وقوع تخفيف الهمز في النقوش اليمنية ومن ذلك ما ورد في أحد نقوش محرم بلقيس في القرن الثالث الميلادي :

بلمقه 1 ثهون 1 بعلاوم

ب ل م ق هـ ث هـ و ن ب ع ل أ و م

وعلق قائلا : ب ل م ق هـ = ب أ ل م ق هـ بتخفيف الهمز [2] .

بقي أن نؤكد على أن اللغات السامية ليست بدعا بين لغات العالم في اقتصار أبجديتها على رمز الألف ممثلا للصامت والعلة في أن واحد ، فإذا نظرنا إلى اللغات اللاتينية مثلا سنجد بأبجديتها مجموعة حروف العلة أو ما تسمى بالحروف المتحركة (a e i o u) هي نفسها صوت الهمزة الصامت في بداية الكلمة ، أما في وسطها أو آخرها فهي تنطق عللا قصيرة أو طويلة .

ومن هنا نرى تميز العربية في أبجديتها التي خصّت الهمزة برسم مستقل اقتطعه الخليل من رأس العين بقرينة صوتية وهي قربها في المخرج ، وبذا تتميز الأبجدية العربية عن غيرها من اللغات .

[1]- انظر : قواعد النقوش العربية الجنوبية ، كتابات المسند ، ألفريد بيستون , 18

[2]- انظر : مختارات من النقوش اليمنية القديمة ، محمد عبد القادر بافقيه وآخرون , 190 - 191

المبحث الثاني
من الصيغ الخلافية المهموزة

1- أرز :

تعددت الصور النطقية لكلمة (أرز) في اللغة العربية يشير إلى ذلك ابـن درسـتويه فيقـول : " وأما قوله (يقصد ثعلبا) هو الأُرز بضم الهمزة ، فإن العامة تقوله بالفتح فتفتح الهمزة ، وبعضهم يحذف الهمزة ، ويقول : الرُزّ ، وبعضهم يبدل من الزاي الأولى نونـا ، فيقـول : الرُّنـز ، وكـل ذلـك لغـات قـد حكيت عن العرب أفصحها ما ذكره ثعلب وهو مأخوذ من الأَرْز وهو الصلابة والشدّة " [1] .

ثم اختلفوا بعد ذلك في همزة (أرز) هل هي أصـلية أم زائـدة ؟ ، وقـد جعلهـا ابـن درسـتويه أصلية فهي عنده " فُعُلّ مثل حُزُقّ و قُمُدّ و صُمُلّ و عُتُلّ . ومن فتح الهمزة لم يجز أن يجعلـه مـن الأَرُز ؛ لأنه يصير على مثال فَعُلّ ، وليس هذا البناء من كلامهم ، ولكن تكون همزته زائدة ، وتصـير عـلى وزن : أَفُعْل من الرز والإرزيز ، ويقوي ذلك قول من حذف الهمزة فقال : رُزّ ، وأما من قال : رُنْز بالنون فإنهـا كلمة غير مشتقة في العربية " [2] .

والمهموزة اختارها اللخمي وجعلها الفصـيحة فيقـول : " وهـو الأُرُزّ وهـي الفصـيحة بضـم الهمزة والراء ، وأَرُزّ بفتح الهمزة وضم الراء وأُرْز بضم الهمزة وإسكان الراء ، و رُنْز كما تنطق بـه العامـة وهي لغة رديئة ، وهو مأخوذ من الأَرْز وهي الصلابة والشدّة وهمزته أصلية ، فأما من فَتَح فهمزته زائدة ، وهو مأخوذ من الرُّزّ ، وهو الثبات ، كأنه لشدته وصلابته أثبت من غيره و رزّة الباب منه " [3] .

ومن القدامى من ذهب إلى زيادة الهمزة ، قال الجواليقي " الأرز وزنه أَفْعَل لا محالـة ، فـالهمزة فيه زائدة ، وفيه لغات . أرز وأُرُز وأَرُز وأُرُز مثل كتب وأُرْز مثل كُتْب ، ورُزّ ورُنز ، قال الراجز :

يا خليلي كُلْ إوَرّة واجعلِ الحَوْزانَ رُنزة " [4] .

---

[1]- تصحيح الفصيح و شرحه ، لابن درستويه , 388
[2]- تصحيح الفصيح و شرحه ، 388
[3]- شرح الفصيح ، ابن هشام اللخمي , 184
[4] - المعرب للجواليقي 142 .

وعلق د. ف عبد الرحيم قائلا : " هو يوناني ... ومنه Oryza باللاتينية وهـو دخيـل في اللغـة اليونانية من اللغة التاملية (لغة مدراس في جنوب الهند) ، وأصله فيها : (أَرِسِ) . ومن اللفظ اليونـاني نفسه riz بالفرنسية ، و rice بالإنكليزية وriso بالإيطالية وreis بالألمانية " [1] .

وتظهر المقارنة بالساميات الشمالية وجود الصيغتين المهموزة وغير المهموزة جنبا إلى جنب وإن ظهرت المهموزة في أكثر من موضع منفردة ، يقـول مـراد فـرج المحـامي " والأرزّ والأرُزّ والأُرُزْ مخففـة والرزّ والرُّنْزُ والآرُز والآرِز والآرُز هذا الحب الأبيض المعروف هو عبريـا وآراميـا (أُرِز) ضـم فكسر ـ مالان ممدودا أولها . ف (رُز ورنز، وأرز) باب واحد عربيا للأرُزّ " [2] .

وفي الآرامية والسريانية نجدها مهموزة عند أصحاب البراهين الحسية والغرامطيق والأصـول الجلية : اَرزُا[3] . (arza ')أونجدها بدون الهمز عند لويس كوسـتاز وإيشـوبار عـلي : رُزُا ، رُوزُا [4] . (roza – rouza) وفي مواضع أخرى في البراهين الحسية بدون همز رُوزا rouza [5] .

ونظرا لأن (الأرز) نبات يحتاج لأرض زراعية وفيرة الماء فالباحث يرى أن الكلمة ليست مـن شبه الجزيرة العربية وإنما منشؤها من منطقة ما بين النهرين حيث الخصوبة والزراعـة ، فأنـا أوافـق مـار أغناطيوس فيما ذهب إليه بقوله : " إن العرب لم تكن تعرف للأرز طعـما ولا اسـما فأخـذت اسـمه مـن السريانية " [6] .

---

[1] - المعرب للجواليقي 142 -143 .

[2] - ملتقى اللغتين العبرية والعربية ، مراد فرج المحامي, 3 / 7

[3] - انظر في ذلك : البراهين الحسية على تقارض السريانية و العربية ، أغناطيوس يعقوب الثالث , 76 / غرامطيق اللغة الآرامية السريانية (صرف ونحو) ، القس بولس الكفرنيس , 29 /الأصول الجلية في نحو اللغة الآرامية ، يعقوب أوجين منا , 116

[4] -Isho.B.Ali: The Syriac –Arabic glasses , 385 / L.Costaz: Syriac-English- French – Arabic dictionary , 343

[5] - البراهين الحسية 116 .

[6] - الألفاظ السريانية في المعاجم العربية ، أغناطيوس إفرام الأول , 175

وقد جاء بها مار أغناطيوس على الوجهين (أرُزّ) و (رزّ) : " رُزُا ، رُّوزُا rouzo , rozo هكذا ضبطه ابن شملي وأورد ابن بهلول لغة فيه : اوُرُّوزُا orouzo " [1] .

ويتبين للباحث أن الأصل في الصيغة هو الهمز ، وسقط الهمز من أول الكلمة في طريق السهولة والتيسير كما يحدث في كثير من الكلمات العربية ، والصيغة التي وصفها اللخمي بالرديئة (رنز) هي النطق العامي الحاصل أحيانا نتيجة قانون المخالفة الذي يحدث عن طريق قلب أحد الصوتين المدغمين إلى صوت آخر من الأصوات المائعة (ل م ن ر) أو أنصاف الصوامت (و ي) وهو طريق آخر من طرق قانون السهولة والتيسير ويحدث في كل اللغات السامية [2] .

***

2- إوزّة :

اختلفوا في همزة (إوزة) هل هي زائدة أم أصلية ؟ . أشار إلى ذلك ابن درستويه في قوله : " وأما قولهم هي الإوَزّة فإنها الواحد من الإوَزّ ، وهو ضرب من البط ، وفي أولها همزة مكسورة ، زعم المازني أنها زائدة وأن مثالها إفْعَلة وأن الدليل على ذلك قولهم : وَزّة ، و وزّ بغير همز ، وزعم الخليل أن الإوزّ طير من طيور الماء ، والواحدة إوزّة . قال : وينبغي أن تكون المَفْعَلة منها : مَأْوَزَة ، ولكن العرب منهم من يحذف الألف منها فتصير وزّة على فَعْلَة وَزّة من الإوَز ، وهي قبيحة . وتقول في المَفْعلة منها في هذه اللغة : أرض مَوَزّة . قال : ويقال هو البط وأنشد للأعشى في جمعها : (بسيط)

ترى الإوَزّينِ في أكْنافِ دارهمُ فَوْضى وبينَ يديها التينُ منثورُ

فقالوا الأوزين كما قالوا : الإحرون لجمع الحرّة وهذا يؤيد قول المازني وقول من يحذف الهمزة من العرب"[3].

---

[1]- الألفاظ السريانية في المعاجم العربية ، 174

[2]- انظر في ذلك : C. Brockelmann: Semitische sprachwissen schaft , 88 – 92

[3]- تصحيح الفصيح و شرحه ، 303 - 304

وعند اللخمي أصلها " إوززة ووزنها : إفعلة ثم إنهم كرهوا اجتماع حرفين متحركين من جنس واحد فأسكنوا الأول منهما ، ونقلوا حركته إلى ما قبله ، وأدغموه في الذي بعده ، فصار إوَزّة ، وقد قيل : وَزّة كما تنطق به العامة . وزعم الخليل أن قياس مَفْعَلَة من الإوَز مأوزة فهذا يدّل على أن الهمزة أصلية " [1] .

وفصل ابن جني القول في تطور معقد للفظة فقال : " إوزّة : أصل وضعها إوْزَزَة ، فهناك الآن عملان : أحدهما قلب الواو ياء لانكسار ما قبلها ، والآخر وجود الإدغام ... الواو في إوزّة إنما هو بدل من الياء التي في إيزة وتلك الياء المقدّرة بدل من (واو) إوززة التي هو واو وَزّ " [2] .

كما أشار الجوهري إلى الصيغة المهموزة وجمعها " قال الجوهري : الإوزّة والإوز البط وقد جمعوه بالواو والنون فقالوا : إوَزّون " [3] .

واستنكر بعض المعاصرين " الجدل حول وزن إوَزّة هل هو إفعّة أم إفعلة ... وهذا الجدل هو انعكاس لقصور الميزان الصرفي الذي لم ينتبه له سيبويه والأصمعي وآخرون بل تجادلوا حول تطبيقه ... فكلا الوزنين المقترحين لا يعطيان نسبة لـ (فعل) نفس المعنى الذي تعطيه إوزة من وزّ " [4] .

وأيا ما كان الأمر فاللفظة موجودة في السريانية غير مهموزة ، في حين أنها مهموزة في العبرية والآرامية يشير مراد فراج إلى (إوز) " عبريا (أَوَّز) فتحان ثانيهما مشدّد ممدود والواو V . وآراميا (أُوُوزا) والواو الأولى V وللواحدة عبريا أَوْزَي الواو V " [5] .

فالصيغة في العبرية **אוז** [6] (أوز) ترجح أن الهمزة أصلية خاصة إذا علمنا أن العبرية تميل في الأغلب إلى إسقاط الهمز لا إثباته كما لا تميل إلى همز ما لا أصله الهمز ، فهذا يرجح كون الصيغة مهموزة

---

[1]- شرح الفصيح ، ابن هشام اللخمي , 140
[2]- الخصائص لابن جني , 3 / 6
[3]- لسان العرب / أوز
[4]- المعجم المعجم العربي التأثيلي ، حامد السحلي ، الجمعية الدولية لمترجمي العربية ، الشبكة الدولية ص1
[5]- ملتقى اللغتين العبرية والعربية ، مراد فرج المحامي, 3 / 8
[6]- انظر : العبرية لهجة عربية عادية ، سلامة سليم يوسف , 134

الأصل ، الغريب في الأمر أن رفائيل نخلة اليسوعي جعلها من الكلمات التي أخذتها العربية من السريانية ، وأشار إليها غير مهموزة **وَزُا** wazo [1] .

***

3- أوقية :

اعترض ابن هشام اللخمي على من قال بزيادة الهمزة في (أوقية) واستدل على ذلك بالدلالة ، لأن " أوقية وزنها فعلية من الأوق ، وهو الثقل والأوقة أيضا هَبْطة في الأرض يجتمع فيها ماء السماء وجمعها أُوَق ، وحكى ابن السراج أنها فعليّة من أوقت الشيء أي : قلّلت وحكى يعقوب : أن وزنها أُفْعُولة بمنزلة أحدوثة وأعجوبة وذلك وهم . والصحيح ما قدمناه " [2] .

وإلى ذلك ذهب ابن درستويه فقال " وأما أوقية فليست عندنا من باب أُفْعُولة ولا الهمزة فيها بزائدة لأنها من الأَوْق ، وهو الثقل ، ولو كانت الهمزة فيها زائدة لكانت من وقيت وليس في الأوقية معنى وَقَيت ، ولكنها على فُعْلية ، منسوبة إلى الأوْقة وهي هبطة في الأرض يجتمع فيها الماء ... وقال بعضهم : إنما هي الأَوقيّة ، بفتح الهمزة على فَعْلّية منسوبة إلى الأَوق ، وهو الثقل ، وهو أصح الأقوال ، والعامة تقول فيها (وقيّة) على فعلية من وقيت ، وهو خطأ في المعنى واللفظ جميعا " [3] .

واتفق القدماء على ذلك ففي لسان العرب " الأوقية ... زنة أربعين درهما ، فإذا جعلتها أفعولة فهي من غير هذا الباب " [4] . وعند ابن دريد " الأوق الثقل وتحمل المكروه ، آقني يؤوقني أوقا " [5] .

أما **المعاصرون** فقد أكدوا وقوع التعريب في اللفظة ، وفي جميع الحالات هي مهموزة الأصل ؛ أصلها من اللغة اللاتينية ودخلت إلى العربية عن طريق فترة الحكم الروماني في سوريا فهو لفظ مهموز

---

[1]- غرائب اللغة العربية ، الأب رفائيل نخلة اليسوعي, 173 / وانظر : البراهين الحسية على تقارض السريانية و العربية ، أغناطيوس يعقوب الثالث , 83

[2]- شرح الفصيح ، ابن هشام اللخمي , 163

[3]- تصحيح الفصيح و شرحه ، 354

[4]- لسان العرب / أوق

[5]- الجمهرة ، 2 / 980

في لغته " وأصله uncia ومعناه ثلث ربع الرطل ومنه ounce و inch بالإنكليزية " 1 . وفي القاموس الكلداني نجد اللفظة مهموزة أيضا في اوكويا أوقية 2 . ʾókóya

أما عن وجود النون في الصيغة اللاتينية ، فيذهب د.ف عبد الرحيم إلى أن من صور تغير الدخيل التغير بسبب الإدغام " وحذفوا النون في بعض الكلمات نحو ياقوت وأصله ياقونت أوأوقية وأصله : أونقيا إذا أصله باللاتينية uncia " [3] .

فاللفظة إذاً دخلت جزيرة العرب عن طريق الآرامية ربما عن طريق التبادل التجاري في رحلاتهم التجارية السنوية ، وأخذها الآراميون من المجتمع الروماني الذين احتلوا الشام قرونا طويلة ، فأصلها إذن لاتيني (uncia) أونسيا بالسين .

لكن العجيب في الأمر أن اللفظة العربية بالقاف ربما تكون قد خضعت لقانون سياحة الألفاظ فهي عربت بالقاف من الكاف أو القاف الآرامية ثم عادت إلى الغرب الآن بالكاف ، وفي ذلك يقول أغناطيوس جويدي : " وقد حدث في بعض الأحيان أن رجعت إلى الغرب كلمات عربية كان العرب قد غيروها في استعمالهم حين استعاروها من الغربيين ومن ذلك جملة من أسماء الأوزان والمقاييس ، ومن ذلك (الأونسيا) اللاتينية (uncia) التي تحولت إلى الإغريقية ، ثم منها استعارها الآراميون فكانت عندهم (أوقيا)(uqya) التي صارت في العربية (أوقية) ثم شاعت في الغرب باسم (أوكا)(oca) " [4] .

***

4-نبي :

اختلفوا حول همزة (النبي) ، ومن ثم بحثوا عن اشتقاقه فاختلفوا هل هو من فعل مهموز الأصل أم من فعل غير مهموز بالأساس ؟ .

---

[1]- المعرب ، للجواليقي , 58 / وانظر : التعريب في القديم والحديث مع معاجم الألفاظ المعربة ، محمد حسن عبد العزيز , 14

[2]- قاموس كلداني عربي ، المطران يعقوب أوجين منا ,864

[3]- المعرب ، 84

[4]- محاضرات في تاريخ اليمن والجزيرة العربية قبل الإسلام ، أغناطيوس جويدي , 79

يطرح ابن درستويه هذا الخلاف في (نبيّ – نبيء) فيقول : " وأهل العربية يزعمون أن النبي أصله الهمز ؛ لأنه عندهم من أنبأه الله ، والعرب كلهم لا يهمزونه إلا في ضرورة شعر وشذوذاً وكذلك نزل به القرآن " [1] .

فوصف ابن درستويه للصيغة المهموزة بالشذوذ أو الضرورة الشعرية يشعرنا أن أصله غير مهموز، وهو ما اتفق مع طرح ابن دريد لأصل (نبي) من جذرين مختلفين ودلالتين منفصلتين ؛ فعنده أن " قولهم : نبا السهم عن الهدف لأنه تنحي عنه أومن لم يهمز النبي صلى الله عليه وسلم فاشتقاقه من هذا ؛ لأنه نبا أي ارتفع فكأن النبي فعيل من هذا ... ، ومن همز فهو من النبأ ، من قولهم أنبأتك بكذا وكذا أي أخبرتك وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم : يا نبيء الله ، فهمز ، فقال : لست نبيء الله ولكني نبيّ الله " [2] . وجاء في جمهرة اللغة : – " اشتقاق النبى من النبو وهو العلو والارتفاع ومن همز اشتقه من النبأ وليس بالمأخوذ به " [3] .

وبالرغم من إدراك سيبويه أصالة الهمز في نبي يظهر ذلك من قوله : " وليس من العرب أحد إلا وهو يقول : تنبأ مسيلمة ؛ وإنما هو من أنبأت " [4] . غير أن ذلك لم يمنعه من استقباح الصيغة المهموزة في (نبيء) يقول سيبويه : " وقد بلغنا أن قوما من أهل الحجاز من أهل التحقيق يحققون نبيء وبريئة ، وذلك قليل رديء " [5] .

وعلق د. إبراهيم السامرائي : " وكان سيبويه قد ذهب إلى أن تحقيق الحجازيين لهمزة (نبيء) رديء ... وهذا يعني أن سيبويه يحرص على المسموع فهو يرى أن التحقيق في الهمزة ... رديء قليل وإن ورد في قراءة جماعة من أهل العلم "[6] .

---

[1]- تصحيح الفصيح و شرحه ، لابن درستويه , 176
[2]- الاشتقاق ، لابن دريد , 462
3- الجمهرة ، 1028/2 .
4 - الكتاب لسيبويه 3 / 460
5 - الكتاب 3 / 555
6 - المدارس النحوية أسطورة وواقع ، إبراهيم السامرائي 18 .

وعلق الدكتور رمضان عبد التواب على ذلك قائلا : " والعجيب في هذا الموضوع الأخير وصف سيبويه للهمز في نبيء وبريء بالرداءة ، مع أنه الأصل في هاتين الكلمتين ؛ لأنهما من (تنبأ) و (برأ) ، وهذا يلفت نظرنا إلى شيء مهم جدا في حياة اللغات وهو أن اللغات الأدبية لا تخلو في بعض الأحيان من عدوى اللهجات المحلية ، فمع أن العربية الفصحى آثرت أن يكون الهمز من خصائصها متابعة في ذلك اللهجات النجدية ، فإن فيها الكثير من الكلمات التي تخلو من الهمز ، بسبب التأثر بالبيئة الحجازية ، التي نشأت الفصحى وترعرعت بين أحضانها في مواسم الحج والتجارة والمواسم الأدبية التي كانت تقام في عكاظ وغيرها "[1] .

ويبدو أن الجمهور على جواز الهمز والتخفيف في النبي ، الأمر الذي يدل على أن جذره واحد وهو المهموز ؛ فاللفظة في لسان العرب في باب (نبأ) " قال الجوهري ويجوز فيه تحقيق الهمز وتخفيفه ... قال سيبويه : ... تركوا الهمز في النبي كما تركوه في الذريّة والبريّة والخابية ، إلا أهل مكة فإنهم يهمزون هذه الأحرف ولا يهمزون غيرها ويخالفون العرب في ذلك ، قال : والهمز في النبيء : لغة رديئة ؛ يعني لقلة استعمالها لا لأن القياس يمنع من ذلك "[2] .

وسر رفض النبي صلى الله عليه وسلم للصيغة المهموزة في الحديث السابق يبينه لنا ابن جني قائلا : " واعلم أن العرب مختلف أحوالها في تلقي الواحد منها لغة غيره ... وذلك أنه عليه الصلاة والسلام أنكر الهمز في اسمه فرده على قائله لأنه لم يدر بم سمّاه ؟ ، فأشفق أن يمسك على ذلك وفيه شيء يتعلق بالشرع فيكون بالإمساك عنه مبيح محظور أو حاظر مباح "[3] .

وإن كنت استبعد هذا التعليل عند ابن جني من إشفاق النبي وخوفه من غموض الصيغة المهموزة لديه ، فالنبي أفصح العرب ، ولا أعتقد أنه كان يجهل دلالة الصيغة المهموزة ، وأرى أنه صلى الله عليه وسلم أراد أن يوافق اللفظ القرآني وتحرّج من الصيغة المهموزة ربما تجنبا لأغراض الذين يلوون

[1] - مشكلة الهمزة العربية ، رمضان عبد التواب , 36 – 37 .
[2] - لسان العرب / نبأ
[3] - الخصائص لابن جني , 1 / 383

ألسنتهم بالكتاب وما هو من الكتاب ، واحترازا من أهل الكتاب الذين كانوا يهمزون اللفظ عندهم – كما سيظهر في العبرية – فأراد أن يخالفهم صلى الله عليه وسلم .

وأيا ما كان الأمر فإن ابن جني لا يرفض الهمز في الصيغة وعنده " النبوّة مخففة لا مبدلة وكذلك الحكم على ما جاء من هذا : أن يحكم عليه بالتخفيف إلى أن يقوم الدليل فيه على الإبدال " [1] .

وقد كان لمبدأ كثرة الاستعمال عند القدماء أثر كبير فى بعض الظواهر اللغوية ومنها الهمز ولقد أشار ابن دريد إلى أثر هذا المبدأ فى ترك همز بعض الكلمات المهموزة أصلاً يقول :

– " تركت العرب الهمز فى أربعة أشياء : فى الخابية وهى من خبأت ، والبرية وهى من برأ الله الخلق ، والنبى وهو من النبأ ، والذرية وهى من ذرأ الله الخلق ، ويرى من رأيت صححه أبو بكر خامساً"[2] .

– " البريّة أصلها الهمز وتركت العرب همزها لكثرة استعمالهم إياها " [3] . ومعنى قوله : تركت العرب همزها يقصد أهل التحقيق .

وقال سيبويه وأصحابه بوقوع الإبدال فى النبى وبرية " وقالوا : نبى وبرية ، فألزمها أهل التحقيق البدل وليس كل شىء نحوهما يفعل به ذا ، إنما يؤخذ بالسمع ، وقد بلغنا أن قوماً من أهل الحجاز من أهل التحقيق يحققون نبىء وبريئة ، وذلك قليل ردىء ، فالبدل هنا كالبدل فى منساه وليس بدل التخفيف وإن كان اللفظ واحداً " [4] .

ويوافق بعض المعاصرين القدماء في " وقوع الإبدال والإدغام فى النبى أو ترك همزه تخفيفاً لكثرة الاستعمال كما ترك فى الخابية والذرية والبرية " [5] .

والرأى الأنسب هو عدم وقوع الإبدال فى هذه الكلمات لعدم وجود العلاقة الصوتية المشترطة فى الإبدال بين الهمزة والياء ، والذى حدث فى الكلمات (الذرية ، والبرية ، والنبى) هو سقوط الهمز ثم

---

[1]- الخصائص ، 3 / 153

2- الجمهرة ، 1284/3 ، كذلك ، 692/2 ، 1020 .

[3]- الجمهرة ، 1267/3 .

4- الكتاب ، لسيبويه ، 555/3 .

5- أزاهير الفصحى فى دقائق اللغة ، أ. عباس أبو السعود ص 120 .

التضعيف ، " فالتضعيف فيها ليس منشؤه إبدال الهمزة ياء كما ذهب إلى القدماء فما من صلة صوتية بين الهمزة والياء تؤدى إلى قلب واحد منهما إلى الآخر ، بل كان ذلك بسبب تعويض نبر الهمزة بنبر التضعيف وعلى ذلك كان ظهور الياء المضعفة التى توصف بأنها نبرة تفرقة بينها وبين الواو والياء الأصلية " [1].

ويقول أحد الباحثين فى (نبىّ وبريّة) : " ولا نظن أن أهل التحقيق خالفوا مذهبهم هنا فى هذين الاستعمالين لأننا لو نظرنا إليهما بتفحص لوجدنا أن التضعيف فيهما قد أدى الدور نفسه وهو تقوية النبر على المقطع وهو السبب الرئيس وراء حرص تلك القبائل على صوت الهمزة " [2] .

ويفسر أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب سقوط الهمز من (نبيء) بمبدأ الاستعارة من نظام لغوي مجاور فيشير إلى أن " كلمة النبي تستعملها الفصحى بلا همز ، مع أن فعلها هو (تنبّأ) غير أن العربية الفصحى التي آثرت تحقيق الهمز في نطقها هي التي استعارت هذا النطق الخالي من الهمز من قريش ومن جرى مجراها من القبائل المجاورة " [3] .

وقد قُرئت في القرآن الكريم عند بعضهم مهموزة ، وفي " قراءة نافع وهي قراءة أهل المدينة همز كلمة النبي مفردا ومثنى وجمعا نحو ﴿ يا أيها النبيء ﴾ ، ... والنبيئون " [4] . ويؤكد شيخ عموم المقارئ المصرية الدكتور أحمد عيسى المعصراوي أن قراءة نافع بالهمزة " لأنه من النبأ الذي هو الخبر ، وقرأ الباقون بالياء مشددة ، مأخوذ من نبا ينبو إذا ارتفع " [5] .

وترجح **المقارنة باللغات السامية** الأصل المهموز في (نبيء) حيث إنها من المشترك السامي الذي يعود في جذوره إلى العربية الأم ، يشير العقاد إلى حقيقة أن " العبرانيين عرفوا كلمة النبي بعد وصولهم إلى أرض كنعان واتصالهم بأئمة العرب بين جنوب فلسطين وشمال الحجاز " [6] .

1- القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ، د. عبد الصبور شاهين ، 110- 111 ، بتصرف
2- الهمزة أثرها فى اللهجات العربية ، د. محمد عبد الحفيظ العريان ، 41 .
3- بحوث و مقالات في اللغة , رمضان عبد التواب , 83
4- تاريخ اللغات السامية ، إسرائيل ولفنسون , 209
5 - الكامل المفصل في القراءات الأربعة عشر , د أحمد عيسى المعصراوي 9
6- الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين ، عباس محمود 6

ويتضح من اللغات السامية أن الأصل فيها يوجد في العبرية مهموزا بالرغم من عدم همزه في العبرية الحديثة ؛ ففي آرامية التوراة تأكيد على همز (النبوءة – النبوّة) " נְבוּאָה ، وفي سفر عزرا 6 : 14 : נְבוּאַת " [1] . (نبوآه – نبوأت nabō'āh – nabō'at) .

وفي آرامية التوراة تأكيد على همز " (نبيء נְבִיא nabī' وفي سفر عزرا 5 : 1 נְבִיָא nabī،ā والجمع נְבִיאַיָא " [2] . (nabī،āya).

وهي مهموزة الأصل ويدلنا على ذلك جمعها أيضا ، حيث جاء جمعها (نبيئيم) في سفر يونس : " נְבִיא nābī، نبيّ والجمع נְבִיאִים nabī،īm ، في العربية النبيء والنبيّ " المخبر عن الغيب أو المستقبل بوحي الله " [3] . وفعلها في العبرية مهموز الأصل (נָבָא) [4] . nabā، .

نخرج من هذا إلى أن الكلمة في العبرية القديمة أصيلة الهمز الأمر الذي يدل على أصالة الهمز في العربية أيضا ، ويشير مراد فرج إلى أن الهمز ساقط في العبرية الحديثة ، يقول " والنبيء والنبيّ المخبر عن الله تعالى ، وترك الهمز المختار وفي الحديث أنا نبيّ الله ، والجمع أنبياء ونبيّون ﴾ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين ﴿ هو عبريا (نَبِيا) فتح فكسر ممدود والألف بلا همز وإنما تهمز في الجمع ... والجمع (نِبِيئِم) كسر ممال فآخران غير ممالين ثانيهما ممدود والهمز في الأصل العبري ألف " [5] .

وقد جعل بعض الباحثين اللفظ العربي توراتي الأصل " فقد اقترضت العربية ... مجموعة من ألفاظ التوراة مثل نبي nabi " [6] . في حين جعلها آخرون سريانية عبرية ، فهذا مار أغناطيوس يشير إلى

---

[1] -W.Gesenius: Hebrew and English lexicon of the old testament, 1102

[2] -W.Gesenius:, 1101

[3]- دروس في اللغة العبرية ، ربحي كمال , 567 /وانظر : المعاجم العبرية دراسة مقارنة ، سلوى ناظم , 24 / العبرية لهجة عربية عادية ، سلامة سليم يوسف , 171
وانظر أيضا : W.Gesenius:, 611

[4]- العبرية لهجة عربية عادية ، 171

[5]- ملتقى اللغتين العبرية والعربية ، مراد فرج المحامي, 1 / 97 . والآية من : (سورة آل عمران 81/3)

[6]- الأساس في فقه اللغة العربية ، فيشر , 37

أصل الكلمة في السريانية : " **نبِيُا** Nbiio ، والاسم :**نبِيُوثُا** nbioutho النبوة ، والفعل : **نَبِي** Nabi ، **اِتنبِي** Ethnabi تنبّأ – آنس ، وكذلك بالعبرية ، فهذه المادة ومشتقاتها سريانية عبرية " [1] .

ويظهر من النطق السرياني غياب الهمز حيث يؤكد العلماء السريان أن لام الفعل في السريانية تكون في الغالب حرف علة ولو قابلها في العربية همزة [2] . ويؤكدون على أن المهموز اللام نادر جدا في السريانية وأكثر ما هو مهموز في العربية جُعل ناقصا في السريانية ، بل إنه لم يسمع فعل من الثلاثي المجرد مهموز اللام في السريانية وكل ما أتى منه فهو من المزيدات [3] . فالفعل **نبَا** Nbo وتنبّأ **نَبِي ، اِتنَبِي** والنبي **نبِيا** Nabiyya كل هذا لا همز فيه [4] .

والتفسير الصوتي لغياب الهمز في مثل كلمة (نبي) يرجعه لندبرج Lindberg إلى حدوث المماثلة الصوتية الجزئية " مماثلة رجعية بتحول الهمزة إلى واو أو ياء " [5] . وإلى مثل ذلك ذهب رايت W. Wright حيث يحدث في بعض حالات تغير الهمزة " مماثلة الهمزة (**א**) للصوت السابق ، وتشكل مرحلة متوسطة في مثل : (نبيء nabi ،) أصبحت أولا : نبيّ nabīyun ، ثم نَبِيْ nabī . وفي الوقت الذي أخفتها العبرية من النطق (**נְבִיא**) بالرغم من وجود الساكن **א** في المفرد غير منطوق ، ووجوده في الجمع منطوقا (**נְבִיאִים**) (نبيئيم) إلا أن الآرامية أكدت الهمزة : **נְבִיָא نبِيًا** (نبياء) بصوت مزدوج (y) والأصل **נְבִיאָא نبِيأا** " [6] . (نبيآء) والجدير بالذكر أن الحبشية لا تهمز النبي فهي فيها ንቢ nabīy بالياء بدون همز [7] .

---

[1]- الألفاظ السريانية في المعاجم العربية ، مار أغناطيوس إفرام الأول , 162 / وانظر أيضا : الأصول الجلية في نحو اللغة الآرامية 61 / البراهين الحسية على تقارض السريانية و العربية ، 96 , غرامطيق اللغة الآرامية السريانية 38 / اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية , 297 / غرائب اللغة العربية ، الأب رفائيل نخلة اليسوعي, 207 / وانظر :

L.Costaz: Syriac-English- French – Arabic dictionary , 195

[2]- اللمعة الشهية ، 61

[3]- انظر : اللمعة الشهية ، 236

[4]- انظر : البراهين الحسية ، 96

[5] -O. E. Lindberg: Vergleichende grammatik , 5

[6] -W.Wright: Lectures, 46

[7]- في قواعد الساميات , 399 / معجم مفردات المشترك السامي , 374

ونخلص من هذا العرض أن الصورتين الصوتيين (نبيء ونبي) في العربية موجودتان في أخواتها أيضا ، وأن الصيغة المهموزة هي الأصل والصيغة غير المهموزة تخفيف وتسهيل لها وهي صورة أحدث ترجع لحدوث المماثلة الصوتية (تماثل مدبر جزئي في حالة اتصال) وهو من التغيرات الصوتية التركيبية حدث نتيجة شيوع اللفظ واستعماله وميلا للسهولة والتيسير .

***

5- أراق – هراق

اختلفوا حولها من ناحيتين : الأولى هل الأصل بالهمزة أم بالهاء ؟ ، والثانية هل هي ثلاثية أم رباعية ؟ يظهر هذا الخلاف في قول ابن درستويه : " وقد غلط ثعلب في وضعه قولهم : هرقت الماء في هذا الباب ، لأنه قد ترجمة بباب فعلت بغير ألف ، وإنما هرقت من باب أفعلت بالألف عند جميع النحويين " [1] .

وهبّ شارح آخر وهو أبو جعفر اللبلي يدافع عن ثعلب أمام ابن درستويه ويحاول أن يجد له مبررا في وضعه فعلا رباعيا في باب فعلت غير منكر أن الفعل " من باب أفعلت وأن أصله أرقت وقيل أصله أرْيقت لأنه من راق يريق رَيْقا ... ومما يدل أيضا على أنه رباعي أنك إذا أسندت إلى الغائب قلت هراق وأراق وفي المستقبل يُهَريق ويريق ، فلو كان ثلاثيا لقيل يَهْرِق أو يَهرُق فخرج من هذا كله أنه ليس ثلاثيا وإنما هو فعل رباعي ، فوجه العذر لثعلب أنه إنما أدخله في هذا الباب مراعاة للفظ لأن لفظه ثلاثي فذكره في هذا الباب لهذا الوجه كما ذكره غيره لوجه آخر . قال أبو عبد الله القزاز في كتابه (الجامع) لما ذكر هرقت في الهاء والراء والقاف : اعتذر عن ذكره له في هذا الموضع فقال . ليس هذا من هذا الباب ولكن ذكرناه من أجل لزوم الهاء للبدل " [2] .

ويقر اللبلي أن (هراق) أفصح من (أراق) وأكثر استعمالا وهو عذر آخر يقدمه لثعلب " قال أبو جعفر : ويمكن أن يكون الذي حمل ثعلبا على ذكر هرقت في هذا الباب ، وإن كان ليس بابه أن

[1]- تصحيح الفصيح و شرحه ، لابن درستويه , 69
[2]- تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح ، أبو جعفر اللبلي ، 242 - 243

كلامه في هذا الباب إنما هو فيما يقال من الأفعال بغير ألف في الأفصح ، وكان في هرقت لغتان هرقت وأهرقت على ما حكاه أبو عبيد في المصنف واللحياني في نوادره ، وقال عنها : إنها أبعد اللغات وهي لبني تغلب ، قال : ونرى أن الهاء فيها زائدة كما قالوا : أمهات . وحكاها أيضا الجوهري وأبو عمرو الشيباني في نوادره ، فذكر هرقت إشارة إلى أنها أفصح من أهرقت مع أن اللفظ ليس ثلاثيا " [1] .

ومعروف بين اللغويين القدامى والمحدثين وقوع التبادل بين الهمزة والهاء ، أشار إلى ذلك الزمخشري في شرحه " وللعرب طريقة في تبديل الهمزة هاء لقولهم : إياك وهّياك . قال الفراء : سمعت بعض الطائيين يقول هريد فعل كذا ، يعني أريد . قال وسمعت آخر يقول : هولئك يعنى أولئك " [2] .

وقد رفض بعض الصرفيين اجتماع الهاء والهمزة في الصيغة (أهراق) وقبلها آخرون ، واحتج الرافضون بأن الصيغة وقع فيها تبادل بين الهمزة والهاء فلا يجوز اجتماعهما ؛ لأن إحداهما تحل محل الأخرى ، في حين صرّفها الفريق الآخر زاعما أن الهاء من بنية الفعل الأصلية .

وعلى ذلك وجدنا من يجمعهما معا في باب واحد : ما جاء على فعلت وأفعلت بمعنى واحد (هرقت الماء وأهرقته) [3] . ووجدنا من يرفض الجمع بينهما فعند الكسائي " تقول دَفَقْت الإناء وهرقته ، ولا يقال : أدفقت و لا أهرقت " [4] . وعند الزجاج " ما اختير فيه أفعلت دون فعلت ... باب الهاء : هرقت الماء : صببته " [5] .

والعجيب ما جاء به ابن دريد ؛ حيث نسبهما ابن دريد مرة إلى اللغات في (باب من اللغات ... وأرقت الماء وهرقته) [6] . وفي موضع آخر لتقارب المخارج [7] . وفي موضع ثالث للإبدال : " فأما هرقت

---

[1]- تحفة المجد الصريح ، 244
[2]- شرح الفصيح ، للزمخشري , 78 - 79
[3]- ما جاء على فعلت و أفعلت بمعنى واحد ، أبو منصور الجواليقي ، 75
[4]- ما تلحن فيه العامة ، الكسائي ، 137
[5]- فعلت وأفعلت ، أبو إسحاق الزجاج ، (ت 311 هـ) ، حققه وقدم له وعلق عليه رمضان عبد التواب ، صبيح التميمي ، مكتبة الثقافة ، الدينية القاهرة 1995 . ص 159
[6]- جمهرة اللغة ، لابن دريد , 1294
[7]- الجمهرة ، 46

الماء فإنما هي همزة قلبت هاء " [1] . وفي موضع رابع جمع كل الصيغ المحتملة معا : " ورقتُ الماء وأرقته وهرقته وأهرقتُه " [2] . !!

وأقر البطليوسي أن الهاء زائدة " والدليل على أن الهاء في هرقت وأهرقت ليست فاء الفعل على ما توهم من ظنها كذلك أنها لو كانت كذلك للزم أن يجري هرقت في تصريفه مجرى ضربت فيقال : هرقت أَهرِق .. وكان يلزم أن يجري أهرقت في تصريفه مجرى أكرمت .. فيقال : أهرقت أُهرق إهراقا ... ولم تقل العرب شيئا من ذلك"[3].

وأقر المعاصرون بوقوع الإبدال بين الهمزة والهاء حيث تنطق الهمزة هاء لاتحداهما معا في المخرج مثل أراق > هراق [4].

وعدوها لهجة من لهجات العرب ونسبوها إلى طيئ [5] .

وقبل النظر في اللغات السامية وجب علينا البحث في عدة أمور :

1- هل تؤكد الساميات وقوع إبدال صوتي بين الهاء والهمزة ؟

2- في (أراق – هراق) أيهما الأصل وأيهما الفرع ؟

3- هل تجوز الصيغة أهراق باجتماع الصوتين الهمزة والهاء معا ؟

أولا : تؤكد المقارنة **باللغات السامية** حدوث التبادل بين صوتي الهاء والهمزة ، فيما بينها من ناحية ، ومن ناحية أخرى على مستوى اللغة الواحدة أيضا ؛ فهما صوتان حنجريان ومن الطبيعي أن يحدث التبادل بينهما في أية لغة عالمية وليس الساميات فحسب .

---

[1]- الجمهرة ، 797

[2]- الجمهرة ، 1262

[3] - الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ،البطليوسي 2 / 241 – 242 .

[4]- مشكلة الهمزة العربية ، رمضان عبد التواب , 50

[5]- انظر : مشكلة الهمزة العربية ، 46 - 50

– ومن ذلك ما بين العبرية والعربية حيث إن " تَقَابُل الألف في العربية مع الهاء في العبرية ، لـه أمثلة كثيرة : فالاستفهام في العربية بالألف وفي العبريـة بالهـاء ، وصـيغة (أفعـل) في العربيـة يقابلهـا: **הִפְעִיל** hifʿīl في العبرية ، وصيغة (أُفْعِل) يقابلها : **הָפְעַל** hofʿal " [1] .

– وحرف الاستفهام في العربية الهمزة ونجد " في العبرية حرف استفهام واحدا وهـو الهـاء ... وورد في بعض اللهجات العربية استعمال الهاء بدل همزة الاستفهام " [2] .

– و أل التعريف في العبرية (هل) [3] .

– وهمزة (إنْ) الشرطية " قلبت في اللغة العبرية هاء كذلك فيقال فيها **הֵנֵּה** hennē (هِنِّـي) = إنْ " [4] . وهي موجودة في لهجة طيئ العربية " وهي تشبه (hen) الآرامية التي معناها عـين معنـى (إنْ) العربية " [5] . وهي في الآرامية ēn[6] . بالهمزة .

– وفي العربية أم ، هي " في العبرية الحديثة Hem " [7] .

– والجذر (HDM) في العبرية الحديثة Hadam ← رجل [8] . وهو في العربية (آدم) .

– وفي العبرية نفسها " تحول الهمزة إلى (هـ) يظهر في أشكال متأخرة مثل **הַיִךְ** بدلا مـن **אַיִךְ** : كيف؟" [9] . (هَيخ – أيخ).

– وفي الآرامية " مثل العبرية تحولت الهمزة فيها إلى هاء مثل **המון** بدلا من **אמון** التعدد " [10] . (همون – أمون) .

---

[1]- المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي ، 245
[2]- دروس في اللغة العبرية ، ربحي كمال , 109 – 555 / وانظر : اللغة العبرية ، سيد فرج راشد , 71
[3]- دروس في اللغة العبرية ، 83
[4]- مشكلة الهمزة العربية ، 46 / التطور النحوي للغة العربية ، 168
[5]- التطور النحوي للغة العربية ، 50
[6]- التطور النحوي للغة العربية ، 168
[7] -E. Drake : Discoveries 54
[8] -E. Drake : Discoveries, 42
[9] -O'Leary: Comparative grammar of the Semitic languages, 39
[10] -O'Leary: , 40

– ومن النصوص المقدسة يشير العلماء إلى ما ورد في سفر يونس مثلا " **הֲפַך**: (هَفَـخ hâfaḫ) قلب – رجع ... في العربية : أفكه عن رأيـه : صرفـه ، وفي الآراميـة **הֲפַך**: happak ، وفي السريانية هوَّفَك happak بالمعنى نفسه [1] .

– ومنها في سفر دانيال 6 : 5 " **דִי מְהֵימַן הוּא** : لأنه موثوق به " [2] . حيث يلاحظ (مهيمن) بالهاء ، وتنطق أحيانا بالهمزة في العربية . (يقرأ : دي مهيمن هوا) .

– كما تشير سلوى ناظم إلى ما في العبرية نفسها من إبدال " **השכים** ، **אשכים** : بكّـر ، نهـض مبكرا " [3] . (هشخيم – أشخيم) .

– ويشير صاحب اللمعة الشهية إلى ذلك بقوله " إن العرب يحبون الهمـزة أكثـر مـن غـيرهم ، والعبرانيون كثيرا ما يستعملون الهاء مكان الألف أو الهمزة فهي عندهم حرف علة " [4] .

– وظهر هذا الإبدال بشكل ملحـوظ في **العربيـة الجنوبيـة** ففيهـا حـرف الشرـط (إن) بالهـاء وأحيانا ما تقلب النون ميما أيضا حيث وجد بأشكال مختلفة " هم (هـ م) أو همو (هـ م و) وفي نقـوش نواحي مدينة هِرم فقط هن (هـ ن) " [5] .

– والهمـزة هـاء في المعينيـة أيضـا حيـث " يبـدو أنـه وردت أداتـان للشرـط إحـداهما hm ... والأخرى hn "[6].

– وتشتهر الهمزة في أفعال كثيرة بالهاء في العربيـة الجنوبيـة مثـل " hdbḥh بمعنـى (أذبحـه) ،والفعل db ، h أي أصلح ، من الجذر db وهو من معنى العذاب والتعذيب " [7] .

---

[1]- انظر : بحوث في الاستشراق واللغة, 23 / التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية و اللغات السامية ، 19 / دروس في اللغة العبرية , 556

[2]- انظر : آرامية العهد القديم قواعد ونصوص 180

[3]- المعاجم العبرية دراسة مقارنة ، سلوى ناظم , 110

[4]- اللمعة الشهية, 62 .

[5]- مختارات من النقوش اليمنية القديمة ، محمد عبد القادر بافقيه وآخرون , 87 .

[6]- قواعد النقوش العربية الجنوبية ، كتابات المسند ، ألفريد بيستون , 112 .

[7]- التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية و اللغات السامية ، 20

– ومن العربية الجنوبية هذا السطر (من أحد نقوش محرم بلقيس من القرن الثالث الميلادي عصر ملوك سبأ وذي ريدان) الذي يظهر أن همزة (أرضى) هي هاء :

واخيذتم 1 وغنمم 1 ذهرضوهو

و أ خ ي ذ ت م وغ ن م م ذ هـ ر ض و هـ و [1] .

– وفي النقوش الشمالية كذلك يظهر وقوع الإبدال في (إن – هن) وهذا جزء من نقش (ششنز بن كاهن شهر) المكتشف بحلب 1891م باللهجة الآرامية :

" وهن تنصر صلما وارصتا زا احرى ينصر زي لك "

وترجمته : وإن صنت الصورة والتابوت فالآخرون ينصرونك ويصونوك " [2] .

هذه النماذج من الإبدالات في اللغات السامية تؤكد أن وقوع التبادل الصوتي بين الهاء والهمزة في مثل (أراق – هراق) أمر مألوف في اللغات السامية .

ثانيا : ويبقى أمامنا تحديد **الأصل** في الصيغتين (أراق – هراق) هل هي المهموزة أم الأخرى ؟ ، يشير د. إسماعيل أحمد عمايرة إلى أن " علماء الساميات يردونها تاريخيا إلى الهاء ومن بقايا استعمالها في العربية أن يقال : هراق ، وقد آلت إلى أراق ، وهنار التي آلت إلى أنار ومن ذلك أزرق وهزرق والهاء والهمزة حرفان حلقيان يتبادلان " [3] .

وقد يرفض التطور الصوتي المرتبط بالسهولة والتيسير هذا النموذج الذي يتغير من الصوت الهين الضعيف الهاء إلى الصوت القوي الصعب (الهمز) ، لكن التاريخ يحكم للصيغة الهائية بالقدم ، وأن الصيغ المهموزة تغلب عليها الصيغ الهائية ، وقد يظن القائلون بقانون الحذلقة أن ذلك يرجع إلى لهجة الحجازيين التي اعتمدت الهمز حتى في الصيغ التي لا همز فيها أحيانا ظنا منهم أنها مهموزة حذفت همزتها مبالغة في التفصح ، وعليه نجد " في العربية صيغة أفعل مثل أكرم وأراق وأعطى ... يقرر

[1]- انظر: مختارات من النقوش اليمنية القديمة ، 374 ، وانظر : نقش 44 سطر 11 ص 192
[2]- انظر : تاريخ اللغات السامية ، إسرائيل ولفنسون , 123 - 124
[3]- بحوث في الاستشراق واللغة ، 236 - 237

علم الساميات أن هذه الصيغة قد تطورت عن صيغة أخرى أقدم منها وهي هفعل بالهاء ويقابلها في العبرية هفعيل ولم يعد من هذه الصيغة : هفعل سوى بقايا قليلة نحو هراق وهراد وهنار وهي لغات في أراق وأراد وأنار " [1] .

ولقد عدّها أوليري أربعة أشكال لا غير استبدلت فيها الهمزة بالهاء الأمر الذي يدل على أن (أراق – هراق) من بعض الركام اللغوي الذي يؤكد صيغة الفعل الرباعي (هفعل) في العربية الفصحى وأن الهمز طارئ عليه لما قدمنا له عند الحجازيين ، يقول: " لقد سجل النحويون القدامى أربعة أشكال هي : هنار – هراج – هراد – هراق ، حيث قالوا إن (هـ) بدل من (أ) ولكن في ذلك هم مخطئون ؛ لأن (الهاء) هنا تدل على بقاء السبب الأقدم الذي أصبح (أ) في العربية والحبشية والآرامية الحديثة ونادرا في العبرية " [2] .

وأصّلها رايت W. Wright بأن تلك الكلمات هي عربية جنوبية بديلة لصيغة (سفعل) من لهجة مجاورة حيث وجد " الحرف (ء) في صيغة (سفعل) يتحول إلى (h) وهنا بعض الصيغ النادرة في العربية : هراح – هراد – هراق – هات من (آت)أهذه الهاء (h) لم نجدها في الأثيوبية أو الأشورية ولكن وجدناها في إحدى اللهجات الحميرية ♀♀**הקני** (هقنى)أ**החדת** (هحدث) وفي البابلية والآرامية شائعة في صيغة : **הַקְטֵל** ، **הַקְטֵל** " [3] . haqtel - haqtil.

وفي ذلك يقول أوليري O' Leary : " إن التغير من (شفعل / سفعل) إلى (هفعل) ... في العربية في قليل من الكلمات الباقية بالهاء في مثل : هراح ، هراد ، هراق ، هنار والتي فسّرها النحويون خطأ في باب إبدال الهمز هاء " [4] .

---

[1]- بحوث في الاستشراق واللغة ، 172

[2] -O'Leary: Comparative grammar , 221

[3] -W.Wright: Lectures on the comparative grammar , 205

[4] -O'Leary: , 221

وانظر أيضا :

C. Brockelmann: Kurzgefasste vegleichende Grammatik , 247 - 248

لكننا وجدنا في النقوش الجزرية ما يؤكد وجود الصيغة المهموزة في النقوش اللحيانية (شمال غرب الجزيرة) والصيغة الهائية في النقوش اليمنية ، ومن النقوش اللحيانية نقش أبي الحسن الذي منه :

1- س ع د أ ل / ب ن / ز د ل هـ / .....

2- أ خ ت هـ / أ ر ق و و / هـ .....

وقراءة هذا الجزء :

1- سعد أل بن زيدلاه .....

2- أخته أرقو هـ .....

وفي تحليل اللفظ (أ ر ق و و) : (أراقو) أي صبوا أسالوا الماء مثلا أو أي سائل آخر كالدم وغيره [1] .

وفي النقوش اليمنية الجنوبية نجد اللفظة بالهاء في أكثر من موضع ففي أحد النقوش نجد :

" ' afrsm d-hrgw... الأفراس التي ذبحوا " [2] .

- وفيها نجد dbḥm ، ttr dyhrg bytl ، w [3] .
- وفيها نجد wyhrgw ، tb bn nsn ، l [4] .

وبالرغم من وقوع الإبدال في اللغات السامية بين الهمزة والهاء على مستوى لهجات اللغة الواحدة وعلى مستوى اللغات فيما بينها إلا أننا نذهب بعد هذا العرض إلى أن الصيغة هراق أصل للصيغة أراق ليس على مستوى الإبدال الصوتي الطبيعي المعروف ، بل الصيغة المهموزة تولدت عن طريق الحذلقة والمبالغة في التفصح الذي جعل بعض الناطقين يقيسون الصيغة (هراق) على صيغة (أفعل) المهموزة وعندما وصلتهم من العربية الجنوبية ومن القبائل العربية المجاورة ظنوا أن الكلمة

[1]- انظر : نقوش لحيانية من منطقة العلا دراسة تحليلية مقارنة ، حسين بن علي دخيل الله , 56 - 57
[2]- قواعد النقوش العربية الجنوبية ، كتابات المسند , 76
[3] - قواعد النقوش العربية الجنوبية 110
[4]- قواعد النقوش العربية الجنوبية ، 34

مهموزة في الأساس وأن الصيغة الهائية نطق قَبَلي فأرادوا واهمين ردها إلى أصلها المزعوم قياسا خاطئا على مثل : أراد – أراب أ ولو كان الأمر على سبيل الإبدال بين الهمزة والهاء بقرب المخارج فما بال الصيغ المشهورة بالسين والشين ؟! .

وحول ذلك الرأي يقول موسكاتي " والتطورات في الآرامية والعربية مع القول إن الهاء والهمزة لا تجتمعان في وقت واحد في اللغات المختلفة تشير إلى إمكان أن يكونا جميعا يرجعان إلى جذر واحد هاؤه المزيدة صارت فيما بعد همزة " [1] .

ولذلك رفض بعض الباحثين التفسير التقليدي القائل بوقوع الإبدال بين الهاء والهمزة ورأوا أن " التفسير الصحيح لوجود الهاء بدلا من الهمزة ... وكذلك حلول السين محل الهمزة وهو التأثر بالعربية الجنوبية التي كانت فيها مجموعتان من اللهجات : الأولى وتسمى اللهجة الهائية أي التي تستخدم الهاء في صيغة التعدية وتمثلها اللهجة (السبئية) أ والثانية اللهجات السينية وتستخدم السين في هذا الوزن وتمثلها بقية اللهجات " [2]. وليس ثمة علاقة مخرجية بين الهاء والسين والشين .

ثالثا : بقي أن نبحث في **جواز الجمع بين الهمزة والهاء** في بناء واحد (أهراق – أهرقتُ الماء) وكنا قد أشرنا من قبل إلى خلاف وقع بين القدامى في قبول الصورتين ، ووصلنا إلى أن الصيغة المهموزة أحدث من الصيغة الهائية وأن التعدي بالهمزة يشتهر في العربية الشمالية عربية القرآن الكريم ، لذا ظن بعض العلماء أن الهاء بديلة للهمزة في (أراق وهراق) . ووجدنا أن الحقيقة أن الهاء في هراق هي أداة أصيلة للتعدية في العربية الجنوبية وأن الهمزة هي الأداة الأصيلة للتعدية في العربية الشمالية وجاءت الهمزة في (أراق) فيها ظنا من الناطقين أن الهاء مبدلة صوتيا ، ولما كانت الصيغة الأكثر استعمالا بالهاء فقد فرضت نفسها حتى وقع في النفوس أنها بنية الفعل الأصلية فتركوها مع الهمز جنبا إلى جنب .

وقبل الخوض في تحليل هذا الوضع ينبغي أن نشير إلى صور التعدية في اللغات السامية ، يشير علماء الدراسات المقارنة المعاصرون إلى وجود أكثر من صورة للتعدية في اللغات السامية ، يقول الدكتور

[1]- مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ، سباتينيو موسكاتي و آخرون , 215
[2]- أبحاث عربية في الكتاب التكريمي للمستشرق الألماني فيشر ، هاشم إسماعيل أيوبي , 216 - 217

محمود فهمي حجازي " ربما لا يخطر ببال العارفين بكتب النحو أن هناك وزنا يطلق عليه في علم اللغة المقارن وزن (شفعل أو سفعل) وأن هذا الوزن هو وزن التعدية القياسي في بعض اللغات السامية ... إن العربية الشمالية لا تعرف هذا الوزن وتستخدم للتعدية في مقابل ذلك عدّة أوزان مثل (أفعل وفعّل بالتشديد) " [1] .

وليست الشين والسين والهمزة هي حروف التعدية وحسب ، بل إن الهاء أشهر حرف للتعدية في اللغات السامية ، يشير موسكاتي إلى أن " الجذر مع زيادة الهاء في الصدر يحدث في العمورية وفي مسارد تل العمارنة.. وفي العبرية والمؤابية والآرامية القديمة والسبئية وفي أكثر الأطوار قدما من الثمودية واللحيانية " [2]

وتتميز العربية الجنوبية باستخدام السين والهاء للتعدية وجد ذلك في النقوش الحضرمية والسبئية والقتبانية ، حيث تتداخل فيها السين والهاء ويبرز فيها وزنان شهيران (hf'l) في السبئية ، يقابله (sf·l) في غيرها " وأكثر ما نلحظ ذلك في فعل hqny الذي يرد كثيرا بهذه الصيغة إلى جانب صيغة sqny ، بل إن صيغتين إحداهما بالهاء والأخرى بالسين وردتا جنبا إلى جنب في نص قتباني " [3] .

فالفعل (قني) بمعنى تملّك يرد في العربية الجنوبية بصورتين نطقيتين مع صيغة haqnaia , saqnaia .[4] . و هو فعل يشتهر جدا في لغة النقوش لكثرة وروده فيها هقني " هـ ق ن ي : فعل مزيد متعد من الفعل الناقص (ق ن ي) والفعل بهذه الطريقة يتكرر بكثرة في النقوش السبئية الدينية ويرد بصيغة (س ق ن ي) في النقوش المعينية والقتبانية والحضرمية ويفيد معنى قدم وقرّب " [5] .

ومن أمثلة الأفعال المتعدية بهذه الطريقة في النقوش الجنوبية هكمسن (هـ ك م س ن) وفعله (هـ ك م س) أي قهر وأذلّ [6] . ومنها هنبط (هـ ن ب ط) حفر بئرا حتى الماء [7]. ومثله سنبط (س ن ب ط) [8] .

---

[1]- مدخل إلى علم اللغة ، محمود فهمي حجازي , 10
[2]- مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ، 215
[3]- قواعد النقوش العربية الجنوبية ، 106
[4] -C. Brockelmann: Kurzgefasste vegleichende Grammatik 248 : انظر
[5]- من تدمر إلى جوف اليمن ، , سعيد بن فايز إبراهيم السعيد ، 18
[6]- مختارات من النقوش اليمنية القديمة ، محمد عبد القادر بافقيه وآخرون , 222 - 398
[7]- مختارات من النقوش اليمنية القديمة ، 299 - 403
[8]- مختارات من النقوش اليمنية القديمة ، 184 - 403

والعبرية أيضا " تعدّي الفعل بالهاء ومن أمثلة ذلك **הקדיש** (هِقدش) وأصله هَقْدَشَ على وزن أفعَلَ ويعني : قدّس ، وفي الآرامية القديمة **הנפק** : هَنفِق من الجذر (نفق) وتعني فيها أخرج "[1] .

وفي السريانية كذلك فإن الفعل الثلاثي قد زاد عليه الهاء ليصير رباعيا مثل هؤيمِن آمن [2] (هيقن) . وقد تزاد عليه الألف أيضا مثل البش : ألبش من الجذر : لبش (ألبس) ، وفي الحبشية أستي (سَقى) من الجذر (ستي) مثل العربية بالهمزة [3] .

وفي النقوش الشمالية القديمة من نقش بر ركب باللغة الآرامية – من القرن الثامن قبل الميلاد :

– (هوشبني مراي ركبال ... عل كرسا أبي) وترجمته : أجلسني سيدي ركب إل ... على عرش أبي [4] . فالفعل هو شب تعدّي بالهاء بمعنى (أجلس) .

– وفي المندعية " يوجد عدد قليل من الأمثلة منها : **האוליל** (يصرخ) [5] . (هأوليل) .

فما السر إذن في الجمع بين الهمزة والهاء في (أهرقت الماء) ؟ .

وقبل الرد على التساؤل أشير إلى صيغة أخرى وردت في النقوش العربية الجنوبية وهو الجذر (ودق) ومعناه قدّم ، فقد وجدناها وردت على صورتين : ثلاثية ورباعية ، وبالصيغة الثلاثية جاءت في أحد النقوش على " أ د ق ت : (أودقت) جذر هذه الكلمة ودق ، وأدق فعل ماضي بمعنى قدّم والتاء للتأنيث ، وردت هذه اللفظة اللحيانية بعدة صيغ منها المفرد المذكر (هـ د ق) ... و(أ د ق) والمفرد المؤنث (هـ د ق ت) والجمع (هـ د ق و) وقد تكررت في النقوش اللحيانية مع ألفاظ أخرى تدل على التقدمة للمعبود ... وفي اللغة يقال : ودق الشيء إذا حان أو دنا منك وتقول ودق مني الشيء إذا دنا" [6].

---

[1]- ملاحظات ومقارنات لغوية ، عبد الرحمن السليمان , ص1 / وانظر : مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ، سباتينيو موسكاتي و آخرون ، 215

[2]- اللمعة الشهية , 198

[3]- انظر : ملاحظات ومقارنات لغوية ، عبد الرحمن السليمان , ص1

[4]- انظر : تاريخ اللغات السامية ، إسرائيل ولفنسون , 120- 121

[5] -W.Wright: Lectures on the comparative grammar , 205

[6]- نقوش لحيانية من منطقة العلا دراسة تحليلية مقارنة ، حسين بن علي دخيل الله , 222

وهذه النقوش تدلنا على أن الصيغة (ودق) متعدية قبل دخول الهاء عليها (هودق) ، فهي تـدخل في باب (فعلت وأفعلت متعديا بمعنى واحد) ويتشابه هذا الأمر مع (أراق – هـراق) والأصـل الثلاثـي الـذي أشار إليه ابن دريد (رقتُ الماء) [1] فالهاء والهمزة وهما حرفان للتعدية دخلا على فعل متعد بالأساس.

ومن هنا نبدأ في تحليل السر في بقاء الهاء مع الهمزة حرفين للتعدية في بناء واحد ، ولعل السر في ذلك لا يخرج عن واحد من الأمور الآتية :

1- الصيغة المزيدة بالحرفين (أهرقت الماء) منسوبة إلى بني تغلب وهي مرفوضة عند كثير من القدماء وقالوا عن الهاء فيها : إنها زائدة كزيادتها في أمهات ، وعلى ما جاء عند الكسائي فهي مما تلحن فيه العوام .

2- قد تكون الزيادة هنا من باب المبالغة وتضخيم البنية .

3- ربما تكون الصيغة هنا بُنيت مما يسميه القدماء تداخل اللغات ، وهو – فيما أفترضـه – وجـود بنـاء استقل بنفسه في أذهان الناطقين نتيجة لشيوع الصيغة الهائية (هرقت) وغلبتها ، فاستقر لـدى بعـض النـاطقين العرب أن الصيغة ثلاثية صحيحة سالمة تبدأ بالهاء (هرق) فبنوا منها الصيغة المزيدة بالهمز على (أفعلت) حمـلا على الصيغة القياسية الشمالية في التعدي بالهمز؛ لذلك وجدت لدينا مادتان مزيدتان الأولى بالهمز المقابل للهاء (أرقت – هرقت) والثانية تبدأ من الصيغة الهائية (هرقت) وزادت عليها الهمزة لما ذكرنا فصـارت (أهرقـت) ونحن نميل للتفسير الأخير .

ولعل ما ورد في السريانية مما يؤكد هذا الرأي ؛ فالفعل في السريانية ورد عند أغناطيوس يعقوب عـلى ثلاث صور (ؤرَق ، اؤرِق ، اَرِيق) وهي على الترتيب :

Ariq – Ahreq – Hraq .[2]

وتشير الصيغة (Ariq) إلى أصل الصيغة العربية قبل إعلالها بالألف (أريق ← أراق) ، وتشـير الصيغتان (Ahreq , Hraq) إلى الحالة قبل همزة التعدية وبعدها ، ويبدو على صيغة (Hraq) مظهـر الفعل الصحيح السالم ، الذي يقبل زيادة الهمزة في أوله .

---

[1]- جمهرة اللغة ، لابن دريد , 1262

[2]- انظر : البراهين الحسية على تقارض السريانية و العربية ، أغناطيوس يعقوب الثالث , 83 - 117